خطبة بعنوان

العِبَر والعِظَات في الزلازل والفيضانات

بتاريخ/ ١٣ ربيع الأول / ١٤٤٧هـ

لفضيلة الشيخ

محمد بن عبد الله الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدىٰ هدىٰ محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أما بعد:

فقد سمع من سمع منكم ورأىٰ وشاهد من رأىٰ منكم ما حصل في باكستان من الفيضانات الكبيرة، وفي أفغانستان من الزلازل المدمرة، وفي السودان أَنْ سقط جبل علىٰ قرية فطمَّها بأكملها، ولم ينجُ إلا واحد، وأمثال هذه الآيات ما يحصل من الصواعق في هذه الأيام عند هطول الأمطار في بعض الأماكن، وما

يحصل من السيول الجارفة التي ينجم عنها أضرار كثيرة في الأبدان وفي الأموال وغير ذلك.

هذه كلها آيات من آيات الله يرسلها الله إيقاظاً للناس، ودعوة للناس، وتحذيراً لهم، دعوة لهم إلىٰ التوبة إليه سبحانه، وأن يصلحوا ما بينهم وبينه، والتحذير لهم من أن يستمروا وأن يُصِرُّوا علىٰ ما هم عليه مما يُغضبه ويُسخطه من المخالفات لشرعه والتعدي لحدوده.

ولهذا قال الله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩]، فهذا بيان إلهي وإخبار ربَّاني أنه يُرسل بهذه الآيات وأمثالها من أجل أن يخاف الناسُ عذابَه، وأن يخشوا بطشَه.

فأين الخوف من الله؟ وأين الأخذ بالعِبَر من هذه الآيات؟ وأين الانزجار والاتعاظ من هذه الأحداث الكبار والنَّكَبَات العِظام والمصائب الجِسام؟

نخشىٰ أن يصير من يسمع ومن يرىٰ هذه أنه يتتبع أخبار العالم فقط، لا يُهمُّه أن يتَّعظ وينزجر ويتوب إلىٰ الله ويُصلح ما أفسد.

ولقد روىٰ الإمام البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يُقبض العلم، وتكثر الزلازل**»، تكثر الزلازل، وهي من النكبات العِظام والمدمِّرات الكبار.

ولفظ (تكثر الزلازل) شامل لكثرتها بالتتابع: أن تحصل زلزلة هنا وزلزلة هنا وزلزلة هنا، ودمار هنا وتخريب هنا في وقت متقارب، وشامل أن تقع علىٰ

رُقعة كبيرة من الأرض، وشامل أن تعمَّ الأمرين.

فقد ذكر الإمام السيوطي رحمه الله في "تاريخ الخلفاء" في أحداث سنة خمس وأربعين ومائتين قائلاً: "عمَّت الزلازل الدنيا، فأخربت المدن والقلاع والقناطر، وسقط من مدينة أنطاكية جبل في البحر، وسمع من السماء أصوات هائلة، وزُلزلت مصر".

لا تأمنوا أن هذا الزلزال الذي يحدث في مكانٍ ما؛ أن يحدث هنا وهناك، لا تأمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وقد قسَّم ابن عثيمين الزلازل إلىٰ قسمين فقال في "الضياء اللامع من الخطب والجوامع": "أخبر النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه لا تقوم الساعة حتىٰ تكثر الزلازل، وهي نوعان: زلازل حسية تهز الأرض، فتدمر القرىٰ والمساكن. وزلازل معنوية تزلزل الإيمان والعقيدة والأخلاق والسلوك، حتىٰ يضطرب الناس في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم، فيعود الحليم العاقل حيرانـًا. والحديث محتمل لكُلٍّ منهما، وهو في الأول أظهر".

ومما أخبر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بوقوعه: ما رواه الإمام الطبراني في "الكبير" من حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لا تقوم الساعة حتىٰ تزول الجبال عن أماكنها، وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها**»، وهو حديث حسن.

الذين يعيشون في البلدان الجبلية، فوق الجبال وبين الجبال وأسفل الجبال،

هذا إنذار لهم ألَّا يأمنوا من أن هذه الجبال تتحرك بأمر الله، وتتزحزح بحكم الله، وتذهب عن أماكنها.

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله ... فرُبَّ آخر ليل أجَّج النارا

لا تأمن المصائب والنكبات ما دامت المعاصي والذنوب والفجور وتعدي حدود الله حاصلة وموجودة وفاشية في طول البلاد وعرضها.

ولقد بيَّن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في غير ما حديث ما الذي سيكثر وقوعه قُرْب قيام الساعة من الآيات الحِسِّيَّة.

أخرج الإمام ابن ماجه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف**». الخسف: ابتلاع الأرض مَن عليها. القذف: أن يُرمىٰ الناس بحجارة من السماء. المسخ: أن يمسخ الله من البشر قردة وخنازير.

وما هي علامات وقوع هذه الأحداث وكثرتها وأسبابها؟

الجواب: قد جاء من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الطبراني في "الكبير" أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ**». قيل: ومتىٰ ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقَينات، واستُحلت الخمر**». والقَينات هُنَّ المغنِّيات والراقصات، لأن وجود هذا الصنف بين الناس، والتجمُّع حول هذا الصنف يجرُّ إلىٰ شُرْب الخمور، ويجرُّ إلىٰ الزنا،

ويجرُّ إلىٰ ترك العبادات، ويجرُّ إلىٰ مفاسد لا يعلمها إلا الله.

وفي حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام الترمذي أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**». فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله، ومتىٰ ذاك؟ قال: «**إذا ظهرت القَينات والمعازف، وشُرِبت الخمور**».

يا عباد الله، إذا كان ظهور المغنِّيات والراقصات يجلب ما سمعتم، وسبب للشقاء بسبب ما سيحصل، فكيف بما يوجد في أوساط المسلمين مما هو أدهىٰ وأمرُّ من ذلك من ظهور الزنا، والدعوة إلىٰ فواحش اللواط، والدعوة إلىٰ جرائم نكاح الرجل الرجل.

يا عباد الله، الحذر من الغفلة، الحذر من التجاهل لعقوبات الله، الله غيور علىٰ دينه، وعلىٰ حقوق عباده.

قال الشاعر:

يـا غاديـاً في غفلـةٍ ورائحـا ... إلـىٰ متـىٰ تستحسـنُ القبائحـا
وكم إلىٰ كم لا تخـاف موطنًـا ... يسـتنطقُ اللهُ بـه الجوارحـا
يـا عَجَبًـا منـك وأنـتَ مُبصـرٌ ... كيـفَ تغافلـتَ الطريـقَ الواضـحا

ومما أخبر النبي ﷺ بوقوعه: ما روىٰ الإمام البخاري - تعليقاً بصيغة الجزم - عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر**» وهو الزِنا، «**والحرير**» وهو لباسٌ معروف.

«والخمر» وهي معروفة. «والمعازف» وهي آلة الطَّرب. «ولينزلن أقوام إلىٰ جنب علم» أي: إلىٰ جانب جبل «ينوح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غدًا، فيبيِّتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلىٰ يوم القيامة».

هذا الصنف الذي استحل ما ذُكِر في الحديث وتعاطىٰ من الفجور ما تعاطىٰ، فمنهم من يجعل الله جبلاً ينطبق عليهم وينهدُّ فوقهم، ومنهم من يمسخهم الله قردة وخنازير، أمسوا آدميين وأصبحوا قردة وخنازير.

وروىٰ الإمام البخاري ومسلم من حديث زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب» إلىٰ آخر الحديث، وفيه: فقلت: يا رسول الله، أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كَثُر الخَبَث». وفُسِّر الخَبَث عند جميع المفسرين والشُّراح إذا كَثُر الزنا. وزاد بعضهم: المعاصي. ولا شك أن الزنا لا يقع إلا مع كثرة المعاصي المحفوفة به قبله ومعه وبعده، فلا يحصل الزنا ولا ينتشر ولا يظهر ولا يتفشىٰ إلا وهو محفوف بأنواعٍ من الرذائل والفجور والبغي والظلم، عياذاً بالله!

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالىٰ - في "الداء والدواء": " وظهور الزنىٰ من أمارات خراب العالم".

وقال ابن الجوزي في "التذكرة في الوعظ":

حتىٰ متىٰ ذا القلب ساهي عن كل ما مغنيه لاهي

وَالـنَّفس معرضـة عَـن القـر آن سـامعة الملاهـي
إِن الملاهـي سَـوف تَـرَ مـي سـامعها بالـدواهي

كم يسعىٰ الناس إلىٰ دوام الأمن والاستقرار، وإلىٰ صلاح الحال، وإلىٰ وفرة الأموال ورغد العيش وما داموا يرتكبون ما حرَّم الله فهم يسعون إلىٰ دمار هذه التي يحبون بقاءها، والتي جعلوا جهودهم المُضنية في التوصل إليها، فانظروا إلىٰ تناقض كثير من المسلمين بسبب هذا السعي المعوج.

قال ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين وباب السعادتين": "فإن المعاصي نار النِّعم تأكلها كما تأكل النار الحطب".

يا عبد الله، إذا أنعم الله عليك بشيء لا تدمِّره، لا تتسبب في افتقاده وزواله بارتكاب معصية أو أكثر، ما بالكم بما هو حاصل في عصرنا من انتشار أسباب الزنا وأسباب اللواط كالأفلام الإجرامية.

وأما وسائل الزنا التي صارت في متناول أكثر المسلمين فحدِّث عنها ولا حرج، كالدعوة إلىٰ العشق، إلىٰ الرقص، إلىٰ التبرج، إلىٰ السفور، إلىٰ الغِناء، إلىٰ الخلوة بالنساء غير المحارم، إلىٰ.. إلىٰ.. فكيف لا تنتشر هذه الجرائم، وكيف لا تكثر الوسائل الداعية إليها وصارت مُسهَّلة ومقبولة، وكأنهم لم يرتكبوا ما حرم الله، وكأنهم لم يقعوا فيما يدعو إلىٰ الهلاك.

انتبهوا الغفلة، انتبهوا الغفلة، انتبهوا التلاعب بالعفاف، انتبهوا أن تُصابوا بالخذلان من قِبَل الله.

والشاهد: أن الفتن المهلكة كثيرة، والمعاصي المفسدة للمعاش والحياة متنوعة، والإصرار عليها عجيب، حتىٰ يصور للمتصور أن السعادة في هذه المهلكات، وأن العزة في هذه المنغصات، فاحذروا الإصرار علىٰ الآثام والأوزار.

فلا تأمنوا العواقب الوخيمة، ولا تأمنوا أن تتغير حياة الناس، وأن يقلبها الله عليهم.

أستغفر الله، إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وأصحابه.

أما بعد:

ينبغي أن تعلم أن هناك ذنوبًا من ارتكبها عاجله الله بالعقوبة.

روىٰ الإمام أبو داود وغيره من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالىٰ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدَّخِر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرَّحِم**». هذه من الذنوب التي يعجِّل الله العقوبة علىٰ من ارتكبها، وعلىٰ من أعان عليها، وعلىٰ من سكت عنها وهو يقدر علىٰ تغييرها.

يا عباد الله، البغي: هو العدوان علىٰ العباد، فمن بغىٰ واعتدىٰ علىٰ عباد الله، علىٰ أعراضهم، أو علىٰ دمائهم، أو علىٰ أموالهم، أو علىٰ دينهم؛ فيا ويله من عذاب الله وبطشه وأليم عقابه.

فقد أخرج الإمام البخاري في "الأدب المفرد" أثراً صحيحًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**لو أن جبلاً بغىٰ علىٰ جبل لدُكَّ الباغي**».

ابن عباس يبيِّن شؤم البغي، وأن البغي سبب لانتقام الله ممن بغىٰ، والزوال

من قِبَل الله للباغي، للمعتدي.

يا عباد الله، احذروا الوقوع والولوغ في البغي والعدوان علىٰ العباد، لا تغترُّوا بإمهال الله الباغي والمعتدي، فإنما هي أنفاس معدودة وأيام محدودة ويأتيه من الله ما لا يطيق من النكال.

روىٰ الإمام البخاري ومسلم من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**إن الله ليملي للظالم، حتىٰ إذا أخذه لم يفلته**».

«**إن الله ليُملي**»، ربك بالمرصاد، لا تأمن مكْرَه وعقوبته، ومعنىٰ يُملي له: يؤخِّر أخْذه ويُمهل في البطش به، يعطي له مدة من الزمان ثم يأخذه أخْذ عزيز مقتدر.

فيا ويل من ظلم ومن تعدىٰ وطغىٰ علىٰ العباد. ها أنتم تشاهدون دُوَلًا برُمَّتها أخذها الله أخْذ عزيز مقتدر، وأخْذُ أحزاب، وتدمير شعوب، لا تأمنوا أخْذ الله هذا، الله يقول: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج:١٢].

احذروا الإصرار علىٰ الآثام والأوزار، إلىٰ متىٰ سنبقىٰ بدون توبة، ألم تعقل؟ ألم تتعظ؟ ألم تنزجر؟ إلىٰ متىٰ سنبقىٰ علىٰ هذه المشؤومات؟ الحياة ليست بأيدينا، الحياة بيد الله يتصرف فيها كيف يشاء.

احمدوا الله علىٰ العافية، احمدوا الله علىٰ السلامة، احمدوا الله علىٰ الأمن والاستقرار، احمدوا الله أنكم تعيشون بحفظ الله، بنعمة الله، برعاية الله، لا بحولكم ولا بقوتكم، ولا بمالكم، ولا بذكائكم، ولا بأنظمتكم، ولا بقوانينكم،

فلا يزال الله يدفع عن العباد ويحفظ العباد، ولكنه يُمهل ولا يُهمل، تأتي العقوبات بغتة، ينزل العذاب فجأة، فلا تدري ما عند الله من العقوبات، لا تدري ما يحدث في الليلة الآتية وما يحدث في الغد الآتي.

أنت عبد لله، مربوب، أنت متصرَّف فيك ومُدبَّر، ليس لك من الأمر شيء، فلا تَقُل أنا مطمئن، أنا آكل شارب، أنا معي وظيفة، أنا عندي أموال، انتبه علىٰ نفسك، ولا تغتر بهذه المفاهيم التي تضرُّ بك ولا تنفعك.

قال الله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات:٥٠]، الفرار إلىٰ الله، الإقبال علىٰ طاعة الله، اجتناب معاصي الله، الإقبال علىٰ إخلاص الدين لله، اجتناب الشرك بالله، الإقبال علىٰ اتباع سنة سيد الأنام، اجتناب للبدع والآثام.

تريدون توبة تبيِّض وجوهكم يوم تسودُّ الوجوه؟ تريدون توبة تأمنون من عذاب الله في استقراركم علىٰ وجه الأرض؟ تريدون توبة تدوم لكم بها الخيرات وتكثر البركات؟ فلابد من مجانبة الشرك كله وإقامة توحيد الله كله، ونُجانب المعاصي بأسرها والإقبال علىٰ طاعة الله والاستمرارية عليها، ولنتمسك بهدي رسول الله، ونترك الابتداع في الدين وخلع التحزب والتعصب، فبهذا نستقيم علىٰ شرع الله ودينه.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرَّجته، ولادينًا إلا قضيته، ولا عدوًّا إلا قصمته.

اللهم عليك بأعداء الإسلام، اللهم عليك بأعداء الإسلام، اللهم خذهم من فوقهم ومن تحتهم، واجعل الدائرة عليهم، اللهم عليك باليهود والنصارىٰ المعتدين، اللهم عليك باليهود والنصارىٰ المعتدين، اللهم عليك باليهود والنصارىٰ المعتدين.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، يا أرحم الراحمين.